الاتعاظ بما ورد في سوق عكاظ

لمحمد بن عبد العزيز بن عمر بن فهد المكي المتوفى سنة ٩٥٤

لِبَني فهدٍ المكيين فضلٌ كبير في تدوين التّاريخ الإسلامي عموما وأخبار مكة خصوصا ، وهم في مجموعهم ثلاثة أشخاص ، الجدُّ والابن والحفيد . فالأول هو : عمر بن محمد بن محمد بن أبي الخير محمد بن محمد بن عبد الله بن فهد القرشِي الهاشمي المكي [٨١٢/٨٨٥] له « إتحاف الورى بأخبار أم القرى » و « التبيين في تراجم الطبريين » أهل مكة و « ذيل تاريخ مكة » للفاسي وغيره .

والثاني هو : عبد العزيز بن عمر بن محمد [٨٥٠/٩٢٠] له « غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام » و « بلوغ القرى لذيل إتحاف الورى » وغيرهما .

والثالث الحفيد والأخير وهو : أبو الفضل محب الدين جارالله محمد بن عبد العزيز بن عمر ، ولد سنة ٨٩١ بمكة ، ورحل إلى مصر والشام ، وألف المؤلفات العديدة في أخبار مكة منها « التحفة اللطيفة في بناء المسجد الحرام والكعبة الشريفة » و « فضائل الطائف وابن عباس » و « السلاح والعُدَّة في فَضائل بندر جدة » ورسائل أخرى وكانت وفاته سنة ٩٥٤ .

وهذا الأخير ساقتنا الصُّدَفُ السعيدة إلى العثور على مجموع خَطي نفيس له جميعه من تأليفه وبخطه وهو عبارة عن مسودات لرسائل ، وكُتُبٌ كان قد ألفها في فترات مختلفة ، وهذا المجموع يقبع في مكتبة العلامة المحدث الجدّ عيدروس بن عمر الحِبْشي المتوفى سنة ١٣١٤ ـ مترجم له في الاعلام للزركلي ٩٩/٥ ـ وهو يقع في نحو ٢١٤ ورقة مقاس ١٧×١٢ س م مسطرته ما بين ٢٠ و٢٣ سطرًا ، مع ما يتخلله من حواشي وزيادات ، على هوامش الصفحات ، وما يعيب هذا المخطوط سوى أنه تُرِكَ نَهْبًا للزَّمن ، فلم يَقُمْ أحد بتجليده ، ـ أو أنه جُلِّدَ ثم تفلّتَتْ أوراقه على أثر الاستعمال ـ كما أن الأَرَضَة قد نَخَرتْ بعض أوراقه ، وكذا تساقطت بعض الأوراق منه ، وقَلَّما تسلم رسالةٌ منه من البترِ والسقط وفي الحقيقة

أنّنا قمنا بجمع هذا المخطوط من ضمن مجموعة كبيرة من الأوراق تعد بالآلاف حتى استطعنا استخراج ما قدرنا عليه منه .

وعلى كلٍّ فالمخطوط في مجموعه يُعَدُّ تُحْفَةً من تحف التراث الإسلامي ، وهو يعطي صورةً كاملة للباحث في معرفة التّأليف ومعالجة الكتابة عند المؤرخين الإسلاميين .

ويحّق لنا قبل اقتطاف زهرة من ثمراته أن نقف قليلاً عند وصف محتويات رسائله ، فهو يعطي الجديد عن تراث هذاالعالم وآثاره التاريخية ، ونظرًا لأن الكتاب لا يَضُمُّهُ مجلد نَعرف منه ترتيب تلك الرسائل عند المؤلف فإننا نصف هنا تلك الرسائل كيفما اتفق فنقول :

١ ـ كتابٌ « **المراح الزكية في النخوة الشريفة الهاشمية** » الموجود منه ورقتان قال فيه : (أما بعد فهذا تأليف لطيف . . . جعلته لنفسي تذكرة ولمن ألفته له نصيحة وتبصرة) . . .

٢ ـ كتاب « **تبصرة ذوي الألباب بكِتَاب السِّرِّ الأنجاب** » : قال فيه (وبعد فهذه تحفة لطيفة جمعتها في الكتّاب . من زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الأنجاب ، إلى زماننا في أيام الخلفاء والسلاطين خصوصا كتاب السِّرِّ المشهورين ، وذلك أنّي اطّلَعْتُ على ذكرهم في بعض تواريخ العلماء والفقهاء المتقدِّمين ، وغيرها من مؤلفات مشايخنا المتأخرين) . وهذا الكتاب يقع في تسع ورقات وهو كامل ، قال في أخره (كتب ذلك وحرر في سنة ٩٣٥) .

٣ ـ « **نعمة الودود بعقيقة المولود** » . وهو في موضوع طريف يتعلّق بالعقيقة المعروفة وأحكامها ، ولكنه مبْتور والموجود منه ستّ ورقات قال في آخرها (كتبه الفقير الى لطف الله وكرمه المدعو جار الله . . . لطف الله به والمسلمين وذلك في يوم واحد يوم الأحد من شهر ربيع الاول عام ثلاث وخمسين وتسع مئة بمكة المشرفة والحمد لله وصلى الله على من لا نبي بعده وحَسبنا الله ونعم الوكيل) .

٤ ـ « **القول المبين لحصول المَغْفرة بقول آمين** » . وهو كامل الأوراق يقع في ستّ

عشرة ورقة قال : (فرغ منه في يوم واحد يوم الاثنين سابع جماد الثاني عام ست واربعين وتسع مئة بمكة المشرفة جوار المسجد الحرام تجاه ميزاب سُحُبِ الإنعام) . . . الخ .

٥ ـ « السّهم المصيبة لكبد الطاعن في نسب بني شيبة » وهو في موضوع طريف قال فيه (وبعد فقد سألني بعض الفقهاء والأصلاء النُّبهاء عن نَسَب بني شيبة المعروفين بِحُجَّاب الكعبة وقال إنّه اطلع على كلام الشريف النّسابة محمد بن احمد الجوَّاني في بعض مؤلفاته ونقله عن شيخ الشرف الحسيني النّسابة فقال : وليس لِبني عبد الدَّار بقية ، درج عقبه زمن هشام بن عبد الملك فَوُرِثُوا كَلَالَةً ـ الى غير ذلك مما سيأتي فيها قاله) . . الخ . . . قلت هذه الرسالة كاملة لولا ما يتخلّلها من فعل الأَرضَة وهي تقع في أربع وعشرين ورقة .

٦ ـ « رسالةٌ في تحقيْق نَسَب اشراف مكة » . وهي عبارة عن سؤال والجواب عليها نصّه (ما يقول سيدنا . . . فيما وقع فيه الاختلاف وعدم الجزم والائتلاف بين بعض المتعصّبين وأهل الإنصاف من انخراط بعض أهل البيوت في سلك السادة الأشراف . . . بَيِّنُوا لَنَا غايةَ التَّبيين عن بيت كل من الفاسي والطبري وعبد القوي ، والبخاري والطباطبيين القاطنين بمكة المشرفة الى وقتنا هذا) . ثم الجواب عليه يقع في سبع ورقات فرغ منه (يوم الجمعة خامس عشر جمادي الثاني عام ثمان وثلاثين وتسع مئة بزيادة دار الندورة من المسجد الحرام) .

٧ ـ كتاب « الكفاية لنصرة الحق وطلب الهداية » قال فيه عن سبب تأليفه (الحمد لله : ألفت في وقعتي مع أخي من جهة خصَامة معي في وقف والدي رحمه الله تعالى في سنة أربع واربعين وتسع مئة مؤلَّفًا قبل هذا سمَّيتهُ « حفظ العهود على حكم وقف دار الفهود »، ثم عملت هذا الثاني ردًّا على أخي فيما كتبه على خطية المرضية من جهة الوقفيّة ، سميته « الكفاية لنصرة الحق وطلب الهداية » . ثم انتخبته في مؤلف ثالث في نحو نصف حجمه ثم جرًّا ولده عليٌّ بدعواه نظم قصيدة قال إنّها موعظة لحالي ، نَظمها له خاله . . . ورَدَّيْتُ له جوابها في مؤلف رابع سَّميته « قمع الشهوات في رد . . . ناظم الهفوات » الخ

ماذكره ونعلم من هذه الرسالة انه كان على خلاف مع أخيه وهي تقع في عشر ورقات كاملة .

٨ - « **نخبة الكفاية لنصرة الحق وطلب الهداية** » اختصره من مؤلفه السابق ويقع في ست ورقات .

٩ - « **إزالة الهمّ برد جرأة النظم** » . في الموضوع السابق والموجود منه ورقة واحدة .

١٠ - « **التمسك بالسبب الأقوى ، على التّعاون بِالبرِّ والتقوى** » . كتبه في حادثة تتعلق بميراث بعض أهل مكة . في خمس عشرة ورقة كاملة فرغ منه سنة ٩٥٣ .

١١ - كتاب « **نعمة الرحمن في الوارد لحفظ القرآن** » جعله في موضوع حفظ القرآن والحفاظ وآدابه . يقع في خمس وعشرين ورقة مبتور من اثنائه قال في أخره : (وكتبتْ هذه النسخة وبيضَتْ في ثلاثة مجالس متوالية في الجمعة التي الفت فيها يوم الثلاثا عشري شهر صفر الخير عام ست وأربعين وتسع مئة بمكة المشرفة على يد مؤلفها وراقم حروفها الفقير الى لطف الله وكرمه الملتجي الى بيته وحرمه والمحتاج إلى صلة رحمه محمد المدعو جار الله) الخ . .

١٢ - كتاب « **الوصلات في الأربعين الواردة بالصلات** » . قال في التعريف بها : (أَلّفْتُ في خصام أخِي ومخالفته لي ، وعدم سكنه معي ، ووقف والدي رحمه الله - ستَّ مؤلفات أولها : « **حفظ العهود على حكم وقف دار الفهود** » وثانيها : جوابه فيما كتبه على الأجوبة المرضية في حجج شرط الوقفية وسَمَّيتهُ « الكفاية لنصرة الحق ، وطلب الهداية » وثالثها انتخابه في نصفه ، ورابعها جواب على جرأة ولده لدعواه نظم قصيدة جَرَّأَهُ عليها خالُه الدُّبُّ القالي (كذا) سميته « قمع الشهوات في رد كذب ناظم الهفوات » . . . وخامسها « وصلة المنّعم بأحاديث صلة الرحم » وسادسها مختصره هذا في أربعين حديثا اسمها « الوصلات في الأربعين الواردة بالصلات » يقع في ثلاثين

ورقة ناقص من أثنائه وآخره .

١٣ ـ كتاب « **تحفة العابد الساجد لما لمكة وأعمالها من المآثر والمساجد** » . وهو كتاب نفيس قال في مقدمته : (وبعد فهذا تأليف لطيف ، معظم منيف ، سبب جمعي له أنني حضرت مجلس سيدنا ومولانا شيخ الاسلام ، عين الأعيان . . . الأفندي شرف الدين عبد الباقي ابن المرحوم الشيخ . . . ابي الحسن علي الشهير بعرب . أدام الله له المعالي والقرب . . . فسألني عن الأماكن الشريفة ، والمساجد المعظمة المنيفة الكائنة بمكة المشرفة واعمالها وما أضيف اليها فقلت له : جمعها شيخ شيوخنا الامام الحجة ، والحافظ العمدة ، أول قضاة المالكية بمكة البهية السيد الشريف الأمجد تقي الدين ابو الطيب محمد بن احمد بن علي الحسني الفاسي . . في مؤلفه « شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام » فأمرني بجمعها ليسعى في عمار ما خرب منها ؛ فاستخرت الله تعالى وأجبته عجلاً ولأمره ممتثلاً وجمعت حينئذ ذلك من الكتاب المذكور ، وغيره مما هو عنده مشهور ، ووجدته بخط والدي وجدّي رحمة الله عليهما مما اطلعا عليه من عمارة المساجد وخرابها مما لم ينسب إليه فتم لي بذلك ولله الحمد) . يقع في ست عشرة ورقة ويتخلله نقص من اثنائه . ويبدو أنه لم يفرغ من تأليفه بدليل أنه لم يؤرخ لسنة الانتهاء منه ولم يذكر ما يشعر بالفراغ منه .

١٤ ـ « **حسن السلوك في فضل الملوك** » وهو كتاب كبير يبدو أنه كان يتصدَّر مجموعة هذا المجلد من الرسائل والكتب بدليل انه يوجد عليه تمليك بخط ابنه ولد المؤلف ، ثم اختفى الاسم على اثر تآكل طرف الورقة ، وهذا الكتاب ذكر في آخره انه (ألفه للسلطان الأعظم ، والخاقان المكرم مظفر شاه صاحب المملكة الكجراتية والأعمال الهندية ، في مجالس عديدة أخر في عشري شهر رجب الفرد عام خمسين وتسع مائة بمكة المشرفة) . وهو في اربع وعشرين ورقة مفقود منه ورقات .

١٥ ـ « **الخبر المرفوع ، في أيام الاسبوع** » . رسالة في فضل أيام الأسبوع قال فيها : (وبعد فقد سألني بعض الأصحاب من العلماء الأنجاب عن ايام

الاسبوع وما ورد فيها من خبر مرفوع أو مقطوع ، وهل يوم الأربعاء يوم نَحْس مُستمر ، وما ذكر فيه من قول مشتهر) . تقع في خمس ورقات مفقودة من آخرها .

١٦ ـ « **الاتّعاظ لما ورد في سوق عكاظ** » . وهو هذا الذي بين يديك ، أفرده بأخبار هذه السوق الشهيرة ، ولعله أول من أفرده بالتّصنيف ، وفيه جمع ما يتعلق بوصفه وما جرى فيه من خطب وحوادث ، وحروب في الجاهلية وقد أشار عليه بتأليفه أحد أمراء عصره هو أبو محمد عامر بن القائد الكبير زين الدين مفتاح البقيري الحُبشي عتيق أمير مكة السيد بركات ومقدمه على أمواله ومن بعده على أولاده . هكذا وصفه في هامش المخطوطة . ولعل الطرافة فيها هو موضوعها ، وإن كنّا نَجده يستقي معلوماته من مراجع معروفة مشهورة إلا أنه لا يخلو بحثه من تَصْويبات وانتقادات يَنْثُرُهَا هنا وهناك .

وعلى الرغم من صغر حجمها فهي أيضا مبتورة من أولها (ورقة العنوان والديباجة) ومن وسطها ورقات لا نظنّها كثيرة . ولكن أهميتها أنها بخط مؤلفها ولعل الله يمن بنسخة كاملة يقوم بنشرها أحد الباحثين بعد الاستفادة من هذه النسخة الأم . والله ولي التوفيق .

النـــص :

[١ ـ أ] وكشف بِدَعْوَتِهِ جميع المضَارّ ، وفرق بشريعته بين المتّقين والفجار ، وشرفهم بازالة أسواق أهل الجاهلية بأيام الحج والاعتمار ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه السَّادة الأبرار وعلى التابعين لهم باحسان في جميع الأقطار ، وسلم تسليما كثيرا نبلغ به نهاية الأوطار .

أما بعد : فقد سألني بعض القُوَّاد المعتبرين(١) ممن له ذكر في بلد الله الأمين ، عن أسواق الجاهلية ، وما كان فيها من الهمم العلية ، ومنها سوق عكاظ ، الذي وقع فيه من خطبة قسٍّ بن ساعدة الاتعاظ ، فَكَشفتُ له على تواريخ مكة المشرفة ، وجمعت منها الرّوايات المختلفة في ذكرها ، والتعريف بِها ، وما وقع فيها وأجبته عَجلا ولجوابه ممتثلا ، وسميّت هذا الجواب باسمه الموافق للصواب « **الاتعاظ لما ورد في سوق عكاظ** » وأسأل من الله تعالى أن ينفع به الطّالبين ،

ويجعلنا من المتَعظين إنّه بالآمال كفيل . وهو حسبي ونعم الوكيل .

قرأت على سيدي : والدي الحافظ الرحلة شيخ السّنة عز الدين أبي الخير وأبي فارس عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكي الشافعي[٢] رحمه الله تعالى بالمسجد الحرام عام اثني عشرة وتسع مئة قال : قرأت على والدي الحافظ [١ ـ ب] العمدة المؤرخ، نجم الدين عمر بن فهد الهاشمي[٣] ، عَوْدًا على بَدْءٍ بالمَسْجد الحرام .

ح[٤] : وأنْبأني بِعُلُوِّ درجة[٥] جماعة منهم : الإمام الحجة عالي الاسناد قاضي القضاة بمكة محبّ الدين أبو المعالي محمد بن الرّضيّ محمد الطبري[٦] المكي الشافعي قال : هو وجَدِّي عمر بن فهد : أخبرنا العلامة الحافظ قاضي القضاة تقي الدين أبو الطيب محمد بن احمد بن علي الحسني الفاسي[٧] المكي المالكي إذْنًا إنْ لم يكن سماعًا قال في كتابه « شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام » الباب الاربعون في ذكرى شيء من أخبار أسواق الجاهلية والإسلام[٨] روينا في تاريخ الأزرقي كما اخبرني به أبو المعالي عبد الله بن عمر الصُّوفي بقراءتي عليه في القاهرة عن أبي زكريا يحيى بن يوسف القدسي إجازة إنْ لم يَكن سماعًا : أنَّ أبا الحسن على بن هبة الله الخطيب وعبد الوهاب بن ظافر الازدي أنبآه عن أبي طاهر احمد بن محمد الحافظ قال : أخبرنا به المبارك بن عبد الجبار المعروف بابن الطيُوري ، قال : أخبرنا به أبو طالب محمد بن علي بن الفتح العشاري[٩] ، قال : أخبرنا به أبو بكر أحمد بن محمد بن أبي موسى الهاشمي قال : اخبرنا به أبو [اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي قال اخبرنَا به ابو][١٠] الوليد محمد بن عبد الله الازرقي[١١] رحمه الله قال[١٢] : حدثنا جدي قال : حدثنا سعيد بن سالم عن عمر[١٣] بن ساج عن محمد بن اسحاق عن الكلبي . فذكر خبراً طويلا لا نطّول بذكره الآن فيه حجّ الجاهلية ومواسمهم وإنْسَاء الشهور . فعرضنا مما قال فيه[١٤] : [٢ ـ أ] فإذا كان الحج في الشهر الذي يسمونه ذا الحجة خرج الناس فيصبحون بعكاظ يوم هلال ذي القعدة فَيُقيمون به عشرين ليلة تقوم فيها أسواقهم بعكاظ والناس على مراعيهم[١٥] وراياتهم مُنْحازِين في المنازل تضبط كُلَّ قبيلة أشرافُها وقادَتُها ، ويدخل بعضهم في بعض للبيع والشراء ، ويجتمعون في

بَطْنِ السوق ، فإذا مضتْ العشرون انصرفوا الى مِجَنَّة[١٦] فأقامُوا بها عشراً أسواقُهم قائمةٌ فإذا رَأَوْا هلالَ ذي الحجة انصرفوا إلى ذي المجاز[١٧] [١٨] فأقاموا بها ثمان ليالٍ ، أسواقُهُم قائمة ، ثم يخرجون يوم التَّرْوِيَةِ مْن ذي المجاز[١٩] إلى عرفة فَيَتَرَوَّوْنَ ذلك اليوم من الماء بِذي المجاز ، وإنما مُسّمى يوم التّروية لِتَرَوِيْهِمْ من الماء بذي المجاز ، يُنَادِي بعضهم بعضًا تَزَوّدُوا[٢٠] منَ الماء لأنه لا ماء بِعرفة ولا بالمُزْدلفة يومئذ ، وكان يوم التّروِيةِ آخر أسواقهم . وإنّما كان يحضر هذه المواسم بعكاظ ومِجَنَّة وذِي المجاز التجارُ ، ومن كان يريد التّجارة ، ومن لم يكن له تجارة ولا بيع فإنه يخرج من أهله متى أراد ، ومن كان من أهلِ مكة ممن لا يريد التّجارة خرج من مكة يوم التَّروِيةِ فيتروّى من الماء فينزل الْحُمْسُ[٢١] [وهم قريش وحلفاؤهم وماولدت[٢٢]] ، أطرافَ الحرم من نَمِرَة[٢٣] يوم عرفة ويَنْزل الحِلَّةُ [وهم بَقية الناس][٢٤] عرفة ، وكان النّبِي صلى الله عليه وسلم في سنَتِهِ التِي دعا فيها بِمكة قبل الهجرة لا يَقِفُ مع قريش وهم الحُمْس في طرفِ الحرم وكان يَقِفُ مع الناس بعرفة[٢ ـ ب] .

قال الأزرقِي[٢٥] : وكانوا لا يتبايعون في يوم عَرفة ولا أيام منى : فلما أن جاء الله بالاسلام أَحَلَّ الله عز وجل ذلك لهم فأنزل الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ ﴾[٢٦] وفي قراءة أُبَيّ بن كَعْبٍ في [مَوَاسِمِ الْحَجّ] يعني مِنَى وعرفة وعكاظ ومِجَنَّة وذِي المجاز ، فهذه مواسم الحج قال الكلبيُّ : وكانت هذه الأسواق بِعُكَاظَ ومجَنّة وذي المجاز قائمةً في الإسلام حتى كان حديثًا من الدَّهر .

فأما عكاظ : فإنها تُرِكَتْ عام خروج الْحَرُوْرِيِّ بمكة[٢٧] مع أبي حَمْزة الْمُخْتار بن عوف الازدي الأباضِي في سنة تسع وعشرين ومئة ، خاف الناس أَنْ يُنْتَهَبُوا وخافُوا الْفِتْنَةَ فَتُرِكَتْ حتى الآن .

ثم تركت مِجَنَّةُ وذو المجاز بعد ذالك واستَغْنَوْا بالأسواق بمكة وبِمِنى وعرفَةَ[٢٨] هذا ملخص كلام أبي الوليد الأزرقي[٢٨] كما ذكره القاضي تقي الدين الفاسي ، وقال بعده :

قال أبو الوليد الأزرقي[٢٩] : وعكاظ وراء قرن المنازِل بمرحلة على طريق صنْعاء فِي عمل الطائف على بريد منها ، وهو سوق لِقَيْسِ عَيْلان .

قال القلقشنديُّ في نهاية الأرب[٣٠] : بنو قيس عيلان بالعين المهملة قبيلة من مضر من العدنانية وهم بنو قيس بن عيلان واسمه الناس بالنون بن مضر ، فيكون مضافاً إلى أَبِيْهِ ، وقيل عيلان فرسه ، وقيل : خادمه ، وقيل : كلبه ونَقَل عن المؤيد صاحب حماة أنه قد جعل الله في قيس من الكثرة أَمْراً عظيماً حتى كان منه عدة قبائل . انتهى][٣١] .

وثَقِيفٌ وأرضها لِنَصْرٍ .

وأما مَجَنَّة فهي سوق بأسفل مكة على بريد منْها وهي سوق لكنانة وأرضها من أرض كنانة ، وهي التي يقُوْل فيها بلال رضي الله عنه[٣٢] :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيْتَنَّ لَيْلَةً بِوَادٍ[٣٣] وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيْلُ
[٣ - أ] وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيْلُ

وشَامَةُ وطَفِيل جبلانِ مشرفان على مَجَنَّة ، وأما ذو المجاز فسوقٌ لِهذيلٍ عن يمين الموقف بِعرفة ، قريب من كبكب على فرسخ من عرفة .

وأمَّا حُبَاشة[٣٤] [هي بفتح الحاء والباء الموحدة بعدها ألف وشين معجمة] ، فَسوقُ الأزدِ وهي فِي ديار الأوصام[٣٥] من بارق[٣٦] مِنْ صَدْرِ قَنَوْنَا وَحَلْيٍ ، بناحية اليمن ، وهي من مكة على ست ليالٍ ، وهي آخر سوق خَرِبَتْ من أسواق الجاهلية ، وكان والِي مكة يستعمل عليها رجلاً يخرج معه بِجُنِد فيقيمون بها ثلاثة أيام من اول شهر رجب متوالية ، حتى قتلتِ الأَزْدُ واليًا كان عليها من غَنِيٍّ . . . . [بنو غني قبيلة عربٍ باليمن ، قال القلقشندي[٣٧] : هم بطن من بني عروة بن الزبير من بني أسد بن عبد العزّى من قريش من العدنانية][٣٨] .

بعثه دَاوود بن عيسى بن موسى في سنة سَبْع وتسعين ومئة فأشار فقهاء أهل مكة على داوود بن عيسى بِتَخْرِيبها فَخرَبها ، وتركت إلى اليوم ، وإنما [جعل][٣٩] تُرِكَ ذِكْرُ حُبَاشة مع هذه الأسواق لأنها لم تكن في مواسم الحج ، ولا في أشهره ،

وإنما كانت في رجب . انتهى كلام الأزرقي[٤٠] باختصار .

وقال عَقِبهُ القاضي تقي الدين الفاسي في « شفاء الغرام[٤١] » : وقد خولف الأزرقي في ما ذكره في مجنة وشامة وطفيل من وجوه : منها : أن الفاكهي[٤٢] ذكر ما يقتضي أنَّ مجنّة في غير المحلّ الذي سبق ذكره لأنه قال : حدثني عبد الملك بن محمد عن زياد بن عبد الله عن ابن اسحاق قال : كانت عكاظ ومجَنَّةُ وذو المجاز الأسواق التي تجتمع بها العرب للتجارة كل عام ، إذا حضر الموسم ، يحج العرب فيها ، ويأمن بعضهم بعضاً [٣ ـ ب] حتى تنقضي أيامها . وكانت مجنة بِمَرّ[٤٣] الظهران إلى جبل يقال له الأَصْفَر ، وكانت عكاظ فيما بين نخلة والطائف إلى بلد يقال له الْفُتْقُ ، وكان ذو المجاز ناحية عرفة إلى جانبها قال عبد الملك : الأيسر ، وإنما هو الأيمن إذا وقفتَ على الموقف . انتهى .

ومنها أن كلام الأزرقي [يقتضي][٤٤]أنَّ مجَنة على بريدٍ من مكة ، وذكر القاضي عياض في « المشارق » ما يخالف ذلك لأنه قال : طفيل وشامة جبلان على نحو من ثلاثين ميلاً من مكة انتهى .

ووجه مخالفة هذا لما ذكره الأزرقي أن شامة وطفيل جبلان مشرفان على مجنة على ما ذكره الأزرقي فإذا كانا كذلك وكانا من مكة على المقدار الذي ذكره القاضي عياض وكانا مشرفين على مجنة كما ذكر الأزرقي فتكون مجنة من مكة على المقدار الذي ذكره القاضي ، وهو نحو ثلاثين ميلاً وذلك بريدانِ أو أزيد ، فإنَّ البريد اثنيَ عشر ميلاً والعيان يشهد بصحة ما ذكره القاضي في شامة وطفيل لكون الجبلين المعروفين عند الناس شامة وطفيل من مكة على المقدار الذي ذكره القاضي أو نحوه .

وَإذا كان كذالك فتكون مجنَّةُ من مكة على بريدين على ما ذكر الأزرقي من أن شامة وطفيل مشرفان على مجنة ، ولَعَلَّ الأزرقي أراد أن يكتب أن مجنة [٤ ـ أ] على بريدين من مكة فسها عن الياء والنون وكتب بريد والله أعلم .

وذكر المحبُّ الطبريُّ[٤٥] ما يوافق ما ذكره القاضي عياض في مقدار ما بين مكة وشامة وطفيل [وسياتي الكلام على ذلك . . . ومنها : ان كلام الازرقي يقتضي

ان شامة وطفيل جبلان][٤٦] .

وذكر الخطابي[٤٧] ما يخالف ذلك حكى ذالك عنه القاضي عياض لأنه قال بعد أن قال ما سبق ذكره في شامة وطفيل قال الخطابي : كنت أحسبهما جبلين حتى اثبت لي انهما عينان انتهى .

وذكر المحب الطبري ما ذكره الخَطابي ولم يَعْزُهُ ، ورجَّح ما ذكره الأزرقي ، لأنه قال : وشامة وطفيل قيل جبلان مشرفان على مجنة ، وقيل عينانِ عندها والأول أشهر ، والمعروف عند العرب اليوم أن شامة وطفيل جبلان على مرحلتين واكثر من مكة في جهة اليمن انتهى .

وقول المحبّ الطبري : والمعروف إلى آخره هو ما أشرنا إلى أنه يأتي ذكره منْ كلامه ، ولا يبعد أن يَتَرجح[٤٨] كونهما جبلان فإنهما لو كانا عَيْنَينْ لتمنىً بلالٌ ورودهما كما تمنى ورود ماء مجَنَّة والله اعلم .

يقول مؤلفه : أخبرني من شاهدهما وهما جبلان معنيان(؟) بيرانِ ، وفي واديهما أحداهما تعرف الآن بِبِئْر الخيل وبير الحما[٤٩]] .

ومنها ماذكر أن الأزرقي قال : شامة بالميم وكذا في الصَّحيحين وغيرهما وقيل في شامة شابة بالباء ذكر ذلك ابنُ الأثير[٥٠] ورجّحه الصَّاغاني ، لأنَّ المحِبَّ الطَّبري قال : قال ابنُ الأثير : وبعضهم يقول شابة بالباء الموحدة وهو جبل حجازي ، وصحَّح هذه القصة[٥١] شيخنا رضي الدين الحسن الصاغاني اللُّغوِي انتهى .

ومِجَنَّة بفتح الميم وكسرها [٤ ـ ب] وبالفتح قيدها الحِبابِي[٥٢] والفتح أكثر على ما ذكر المحب الطَّبري لأنه قال : وبعضهم يكسر ميمها والفتح أكثر وهي زائدة ، ورأيت[٥٣] بخط الطبري في نسخة من كتابه « القِرى » ما استشكله مع ما ذكره الأزرقي في جهة موضع مَجنة وصورة ما رأيْته : ومجنة موضع بأعلا مكة على أميال ، كان يقام للعرب بها سوق انتهى .

ووجه استشكال ذالك مع ما ذكره الأزرقي أن الذي رَأَيْتُه في « القرى » ، يَقْتضِي أن مجنة بأعلى مكة ، وكلام الأزرقي يقتضي أنها بأسفل مكة لقوله : ومجنة

سوق بأسفل مكة والظَّاهر أن الذي في «القرى» سَبْقُ قَلَمٍ من المؤلف واللّه أعلم.

ومَجَنَّة غير معروفة الآن ورأيت من يَتَخَيَّل(٥٤) أنها الموضع المعروف بالأطواء ... في طريق اليمن إلى مكة، وَعلَّل ذلك بأنها تُسمَّى عْند العرب بِالجُنَيْنَةِ لطيب مائها. وفي ذالك نظر لماذكره الأزرقي من أن شامة وطفيل جَبلان مشرفان على مجنة، والجبلان المعروفان عند الناس بشامة وطفيل لا يشرفان على الموضع المعروف بالأطْوى لبعدهما منه والله اعلم انتهى(٥٥) كلام شيخ شيوخنا القاضي تقي الدين الفاسي رحمه الله تعالى والعمدة عليه فيما اسند إليه من أخبار مكة وأهلها لأنه عمدة المؤرخين فيها.

وقد أطلنا الكلام لماذكر من اختلاف العلماء الأعلام وأعقب ذالك بموعظة [٥ ـ أ] قسّ بن ساعدة التي ذكرها في سوق عكاظ هنالك، لينتفع بها كل قاطن أو سالك، وهي أربع روايات بألفاظ مختلفات.

أخبرني بها الشَّيخان الجليلان سيدي والدي الحافظ الرحلة شيخ المحدثين، عز الدين أبو الخير عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي العلوي الشافعي، والعلامة الحجة قاضي المسلمين نور الدين ابو الحسن علي بن ابي بكر ابن عبد الغني المرشدي(٥٦) الأنصاري الحنفي المكيّان رحمة الله عليهما قراءة عليهما مُفْتَرِقَيْنَ فَعلى أوّلهما بمكة المشرفة سنة اثني عشر وتسع مئة وعلى الثاني بوادي نَخْلَةَ الشامية في جِهة سوق عكاظ عام أربعة(٥٧) وعشرين وتسع مئة قالا: أخبرنا الإمام الحافظ العمدة نجم الدين ابو القاسم عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكي شفاهاً، قال والدي: إن لم يكن سماعًا، قال في كتابه «إتحاف الورى بأخبار أم القرى»(٥٨) السنة الخامسة عشر من مولد النبي صلى الله عليه وسلم.

الخبر الأول: فيها خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى سوق عكاظ، وسمع خطبة قس بن ساعدة الإيادي، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: قدم وفدُ إياد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عن قس بن ساعدة الإيادي، فقالوا: هلك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد شهدته في الموسم بِعكاظ وهو على جملٍ له أحمر أو على ناقة حمراء وهو ينادي

في الناس : أيها الناس اجْتَمِعُوْا وَاسْمَعُوا وَعُوا ، واتَّعِظُوا تنفعوا [٥ ـ ب] مَنْ عاشَ ماتَ ومن ماتَ فَات وكل ما هو آتٍ آت . أما بعد فانَّ في السماء لَخَبَرًا ، وإنَّ في الأرض لَعِبَرًا ، بَحُوْرٌ تَمُوْرُ ، ويقال نُجوم تَغُور ، ولا تفور ، وبِحارٌ تَفُوْرُ ولا تَغُور ، وسَقْفٌ مرفُوع ، ومِهَادٌ مَوْضُوع ، وأنهارٌ ويَنْبُوع ، أَقْسَمَ قَسٌّ قَسَمًا بِالله ، لا كاذِباً ولا آثِمًا لَيَتبَعَنَّ هذا الأمر سخطا ، ولئن كان في بعضه رِضًا إن بعضه سُخْطا ، وما هذا بالَّلعِب وإنَّ من وراء هذاً لَعَجبًا . أقسم قَسٌّ قسمًا بالله لا كاذباً ولا آثِماً أنَّ لِلّه دِيْناً هو أرضَى له من دِيْنٍ نحنُ عليه ، ما بال النَّاسِ يَذْهَبُونَ ولا يرجعونَ ؟ أرَضُوْا بالإِقَامَةِ فأقامُوْا ؟ أَمْ تُرِكُوا فَنَامُوَا » .

ثم أنشد قسُّ بن ساعدة أبياتا من الشعر لم احفظها عنه فقام أبو بكر الصّديق رضي الله عنه فقال : أنا حَضَرت ذالك المقام وحفظْتُ تلك المقالة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماهي » ؟ فقال أبوبكر رضي الله عنه : قال قَسَّ ابن ساعدة في آخر كلامه :

فِي الذَّاهِبِيْنَ الْأَوَّلِيْنَ مِنَ الْقُرُوْنِ لَنا بَصَائِرْ
لَمَّا رأَيْتُ مَوَارِداً لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرْ
وَرَأَيْتُ قَومِي نَحْوَهَا تَمْضِي الْأَكَابِرُ وَالْأَصَاغِرْ
[٦-أ] لَايَرْجِعُ الْمَاضِي وَلا يَبْقَى مِنَ الْبَاقِيْنَ غَابِرْ
أَيْقَنْتُ أَنِّيْ لَا مَحَالَة حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرْ

الخَبر الثاني : ويقال إنه قدم وفد إياد على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما فعل قَسُّ بن ساعدة » ؟ قالوا : مات . قال « كأنّي أَنْظر إليه بِسوق عكاظ على جمل له أَوْرَق ، وهو يتكلم بكلام له حلاوة ، ما أجدني أحفظه » فقال رجل من القوم : أنا أَحْفظه ، سَمِعْتُهَ يقول : أيها الناس احفَظُوا وَعُوْا ، مَنْ عاشَ ماتَ ، ومن ماتَ فات ، وكَلُّ ما هو آتٍ آت ، ليل داج ، وسماءٌ ذاتُ أبراج ، وبحار تَزْخَر ، ونجُوم تزهى ، وضَوْءٌ وظلاَمٌ وَبَرٌّ وظلام (؟) ومطعم ، وملبس ، ومشرَبٌ ومركب ، مالِي أرى الناس يَذْهبونَ فلاَ يَرْجعون ، أَرَضُوا بالمقام فأقاموا ؟ أم تُرِكُوا فَناموا ؟ وإلهِ قَسٍّ ما على وَجْهُ الأرض دِينٌ أفْضل مِنَ

دينٍ قد أظلكّم زمانُه ، وأدرككم أوانُه ، فطوبى لمن أدركه فاتَّبَعَهُ ، وويل لمن خالفه ثم أنْشَأ يَقول :

فِي الـذَّاهِـبِـيْنَ الأَوَلِـيْنَ من القـرون لنـا بصـائـر
لَمَّـا رَأَيْـتُ مَـوَارِداً لِلْمَـوْتِ لَيْسَ لَهَـا مَصَـادِرْ
وَرَأَيْتُ قَـوْمِـي نَـحْـوَهَـا تَمْضِي الأَصَـاغِـرُ وَالأَكَـابِـرْ[٦ - ب]
لاَ يَـرجِـعُ المـاضِي إِلَيْـكَ وَلاَ مِنَ البَـاقِـيْنَ غَـابِـرْ
سَكَنُـوا البُيُـوْتَ فَـوَطَّنُـوا أَنَّ البُيُـوتَ هِـي المقَـابِـرْ
أَيْـقَـنْـتُ أَنِّي لاَ محَـا لَـة حَيْثُ صَارَ القَـوْمُ صَائِـر

فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يرحم اللهُ قَسًّا إني لأَرْجُو يوم القيامة أن يبعثه الله أمة وحده ».

الخبر الثالث : ويُقال لما قدم وفد إياد على النبي صلى الله عليه وسلم قال النَّبي صلى الله عليه وسلم : « ما فعل قَسُّ بن ساعدة الإيادي » ؟ قالوا : هلك . قال « أما إني سمعت منْه كلامًا لا أرى أني أحْفَظه فقال بعض القوم : نحن نحفظه يا رسول الله فقال « هاتوا » فقال قائلهم : إنه وقف بسوق عكاظ فقال : أيها الناس اسمَعُوا واسْمعوا (؟) وَعُوْا كُلُّ من عاش مات ، وكل من مات فات ، وكل ماهو آتٍ آت ، لَيْلٌ داج ، وسماءٌ ذاتُ أبراج ، ونجوم تَزْهى ، وبحار تزخر ، وجبال مُرْسَات ، وأنهار مُجرَّات ، إنَّ في السَّماء لخَبَرًا وإنَّ في الأرض لَعِبرًا أرى الناس يَمُرُّوْنَ ولا يرجعون ، أَرَضُوا بالإقامةِ فأقاموا أو ترِكُوا فناموا، ثم أنشأ يقول : يُقسِمُ قَسٌّ قَسَمًا بالله ، لا إثم فيه إنَّ لله دِيْنًا هُوَ أرضَى مما أَنْتُم عَلَيه.

ثم أنشأ يقول :

فِي الـذَّاهِـبِـيْنَ الأَوَلِـيْنَ من القـرون لنـا بصـائـرْ
[٧-أ] لَمَّـا رَأَيْـتُ مَـوَارِدًا لِلْمَـوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصِادِرْ
وَرَأَيْتُ قَـوْمِـي نَـحْـوَهَـا تَمْضِي الأَكَـابِـرْ والأَصَـاغِـرْ
أَيْـقَـنْـتُ أَنِّي لاَ محَـا لَة حَيْثُ صَارَ القَوْمُ صَائِرْ

الخبر الرابع : ويقال : إن النَّبِي صلي الله عليه وسلم قال للجارود بن عبد الله الإيادي لما قدم عليه وسأله عَن قَسّ بن ساعدة ، فقال : « يا جارود لستُ أنساه بسِوق عكاظ على جمل له أورق ، وهو يَتكَّلم بكلام مونق ، ما أظنَ أني أحفظه فهل منكم يا معشر المهاجرين والأنصار من يحفظ لنا منه شيئًا » ؟ فوثب أبو بكر رضي الله عنه قائما وقال يا رسول الله إنِي أُحفظه ، وكنْتُ حاضِرًا ذالك اليوم بسوق عكاظ ، حين خطب فأطنَب ورغَب ورَهَّب ، وحذَّرَ وأَنْذَرَ ، وقال في خطبته : أيها الناس اسْمَعُوا وَعُوُا وإذا وَعَيْتُمْ فَانْتَفِعُوا ، إنه من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آتٍ آت ، مطر ونَبات ، وأرزاق وأقوات ، وآباء وأمهات ، وأحياء وأموات ، جَمْع وأَشْتَات ، وآياتٌ بعد آيات ، إن في السَّماء لَخبَرا ، وإن في الأرض لَعِبرًا ، ليل داجٍ ، وسماء ذات أبراج ، وأرض ذات رتاج ، وبحار ذات أمواج ، مالي أرى الناس يَذْهَبُونَ فلا يرجعون ، أَرَضُوا بالمقام فَأَقَامُوا أم تِرُكوُا هُنَاكَ فَنَامُوْا ، أقْسَم قَسٌّ قسمًا حَقًّا لَاحانِثًا فِيْهِ ولا آثِماً ، أن لِله دِيْنًا هو أحبُّ من دِيْنكم الذي أنتم علَيه ، ونَبِيًّا قد حان حِيْنه وأظلكم أوانه (٧ ـ ب] وأدرككم إِبَّانُه ، فَطُوْبَى لمن أدركه وآمن به فهداه ، وويل لمن خالفه وعصاه ثم قال : تبًا لأرباب الغفلة من الأمم الخالية ، والقرون الماضية ، يا معشر إياد أيْن الآباء والأجداد ، وأيْنَ المريض والْعُوَّاد ، وأين الفراعِنة الشَّداد ، أَيْنَ مَنْ بَنَى وشَيَّدَ ، وزَخْرَفَ وَمَجَّد ، وعنده المال والولد ، أين من بَغَى وطَغَى ، وجمع فَأَوْعى ، وقال : أنا ربكم الأعلى ، ألم يكونُوا أكثر منكم أموالا ، وأبعد منكم آمالاً ، وأطول منكم آجالا ، طحنهم الثَّرى بكلكله ، ومزَّقهم بتطاوله ، فتلك عِظامهم بالِيَة ، وبيوتهم خالية ، عَمْرَتْهَا الذِّئاب العادية ، كلاَّ بل هو الله الواحد المعبود ، ليس بوالد ولا مولود ، ثم أنشأ الأبيات المذكورة ، كما تقدمت مسطورة ، وذكرها جَدِّي عمر بن فهد المكي في تاريخه بروايات مَشْهورة ، وفي جميعها عِبْرة لمن اعتبر ، وتَبْصِرة لمن ادَّكَر ، إلى يوم المحشَر والمنشَر جعلنا الله لها من المُعْتبرين ، وحشرنا في زمرة نَبِّينا محمد المصطفى الأمين ، خاتم الأنبياء والمرسلين الذي هو المقصود في هذه الموعظة بالوجود أحيانا الله على سنته ، وأماتنا على مِلَّتِهِ .

وقد ذكر أهل السِّير والتَّاريخ عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم وشرّف وكرّم أن في السَّنة الخمسين من مولده والعاشرة من بعثته وقيل التاسعة لما عاد من الطَّائف راجعًا إلى مكة ، وكان بِنَخْلة [٨ ـ أ] قام من جوف اللَّيل يُصلِّي مَرَّ به نَفَرٌ تسعة ، وقيل سبعة من جِنِ نصيْبِيْنَ وهم أوْلَ بَعْثٍ بعثه إبليس منْ جنوده ليعرفوا له الأخبار عن سبب منعهم من استراق السّمع ، فلَمَّا سمِعوا قراءة النبّي صلى الله عليه وسلم وَلَّوْا إلَى قَوُمهم منذرين ، قد آمنوا وأجابوا بما سمعوا ، فَقصَّ الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم خبرهم فقال تعالى ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ ﴾(٥٩) الآية . . .

وقال الإمام أبو بكر محمد بن اسحاق المطَّلبي في السيرة النبوية تهذيب ابن هشام النحوي(٦٠) : ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطائف راجعا الى مكة حتى إذا كان بوادي نَخْلَة قام من جوف الليل يصلّي فمر بِهِ النَّفر من الجن الذين ذكرهم تبارك وتعالى وهم فيما ذكر لي سبعة نفر من جنّ اهل نصِيْبِيْنَ ، فَاسْتَمَعُوْا له فلما فرغ من صلاته وَلَّوْا إلى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا الى ما سمعوا فقصّ الله تعالى خبرهم عليه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ ﴾ الى قوله ﴿ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيْمٍ ﴾ وقال تعالى ﴿ قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنّ ﴾(٦١) الى آخر القصة من خبرهم في هذه السورة(٦٢) .

وقال شيخ شيوخنا محدث اليمن أبو زكريا يحيى العامريّ رحمه الله تعالى في مؤلفه « بهجة المحافل ، والسِّيَر والمعجزات والشمائل » بعد ذكر هذه القصة كما تقدم(٦٣) : حكي أن الجنّ من نَصيبين قرية باليمن غير التي بالعراق . وقيل إنهم من نَيْنَوى وأن جِنّ نَصيبين أتوه بعد ذالك بمكة والصَّواب أنه لم يَرَهُم [٨ ـ ب] ليلتئذٍ(٦٤) ، هكذا نقل عن ابن اسحاق وتبعه غيره ان سماع(٦٥) الجنّ بِنَخْلة كان عند مَرْجعه صلى الله عليه وسلم من الطائف وحده .

وثبت في « صحيح البخاري » عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أن ذالك كان عند انطلاقه في طائفة من أصحابه عامِدِيْنَ الى سوق عكاظ فسمعوه وهو يصلِّي بهِم صلاة الفجر ، وما ثبت في الصحيح مقدّم على غيره .

ويدلّ عليه ما رواه الترمذيُّ عن أنس رضي اللّه عنهما (؟) وصحّحه أنهم لما رأوه يصلّي بأصحابه وهم يصلّون بصلاته ويسجدون معه فعجبوا من طواعية أصحابه لهُ قالوا لقومهم ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوْهُ كَادُوْا يَكُوْنُوْنَ عليه لِبَدًا ﴾ .

وثبت في « صحيح مسلم » أنه أتاه داعي الجن مرة أخرى بمكة ، وذَهَب معه وقرأ عليهم القرآن وسألوه الزَّاد فقال لهم : « لكم كُلُّ عَظْمٍ لم يذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوْفَرَ ما يكون لَحْماً ، وكل بَعرة عَلَفٌ لدوابِكم » فقال صلى الله عليه وسلم : « فَلا تَسْتَنْجُوا بهما فإنهما طعام إخوانكم » . قال عكرمة : وكانُوا اثني عشر ألفا من جزيرة الموصل وَوَردت أحاديث أخر [تدل][٦٦] على تكرار اجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان ابن مسعود رضي الله عنه معه في إحدى المرَّات . انتهى كلام العامري[٦٧] .

وقد ذكر الفقهاء في كتبهم أن النبي صلى الله عليه وسلم صلَّى صلاة الخوف ببطن نَخْلَةَ وهي غير هذه لأن شيْخَنَا عالم المدِيْنة[٦٨] . . . [٩ ـ أ] وادٍ يَصُبُّ في يَدْعَان ، به مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبه عسكر هوازن يوم حُنَيْنْ . السادس درب النخلة في عدة مواضع ببغداد وحلب وغيرهما انتهى كلام ياقوت[٦٩]

أقول : في بعض كلامه هَذَا تَدَاخُلٌ وَوَهْمٌ فإن المشهور الآن بالحجاز موضعان فقط أولهما نَخْلَةَ الشامية هذه وفيها قَرْيتان البردان[٧٠] والتَّنْضب[٧١] ، وثانيهما نخلة اليمانية ، وفيها الزّيْمَة[٧٢] وسَوْلة[٧٣] ، وكل منهما قريب من الأخرى وبينهما جبال ، ومسيل يَصُبُّ أحدهما في الآخر كما تّقدَّم ولم يعرف المسجد المنسوب الى النبي صلى الله عليه وسلم .

ووجدتُ بِخَط والدي الحافظ عز الدين عبد العزيز بن فهد المكي رحمه الله تعالى : أن وادي نَخْلَةَ كان للطَّلْحِيِّنْ عَمَرُوه قبل أيام بني أمية ، ثم أخذه بعدهم بنو العباس رضي الله عَنه ، ثم صارت في أول المئة السادسة لهذيل كذا في « منازل الحاج » لأبي عبد الله الإشبيلي[٧٤]

ورأيت أنا في أصل هذا الكتاب غير ما نقله والدي بقوله الصَّواب ولعل نُسْخَته أصحَّ من نُسْختيْ ولفظها : البستان أهل اليمن يسمونه نَخْلة ، وهي من بلاد بني هلال [٩ ـ ب] من قريش إلا أن سكانها قوم من ولد طلحة بن عبد الله وغيرهم من قريش وأخلاط من النَّاس كثير ، وأن البريد السادس والخمسون (؟) خلف البستان ،وعلى ثلاثة أميال سقاية حماد البربري[٧٥] وعندها بِناء وقصور ونخل يَمْنَةَ الطريق ، ويُسْرةً ، وبالقرب من سقاية حماد البربري سقاية لابن المتبلي المكي وعلى خمسة أميال من البستان بئر لابن جميل وسقاية تُعرف بحماده امرأة من أهل البصرة انتهى .

أقول : ولعل سقاية حماد هي البركة التي في علو وادي نَخْلة وقد ذكرتُ ذٰلك مُبَيَّنًا في مؤلفي للأودية المسمى « حسن القرى في أودية أم القرى »[٧٦] وشاهدت بوادي نخلة الشامية بيوتًا قديمة جاهلية يقال : إنها محلّ سوق عكاظ ،التي وقع فيها لِقَسِّ بن ساعدة الاتعاظ .

وحدث فيها عدة حروب في أيام الجاهلية سميت بالفجار بكسر الفاء على لغة مروية . وقال الإمام الجوهري في الصحاح : والفجار يوم من ايام العرب وهي أربعة أفْجِرةٍ كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عَيْلانَ في الجاهلية وكان[٧٧][١٠ ـ أ] . . . . . وقيدت[٧٨] بنو أمية فيه أنْفُسَهم ، وحافظتْ مخْزوم فصَبَرت ، وبنو عبد مناة بن كنانة ليعفى على صنيعها وصنيع بَلعاء يوم شيطمة[٧٩] وصابَرَتْ مضر[٨٠] وثقيف ، وذلك أن عكاظ بلد لهم به نخل وأموال فلم يغنوا شيئًا فقاتلوا حتى أمسوا وانْهَزَمُوا . وذكر شعر لابن الزِّبَعْرَى يَمْدح به نَفرًا من قريش .

ثم قال : وحدثني الزبير بن أبي بكر قال حدثني محمد بن الضحاك عن أبيه قال : الْعَنَابِسْ حرب وأبو حرب ، وسفيان[٨١] وأبو سفيان بنُو أمية ، وإنما سُمُّوْا الْعَنَابِسَ لأنهم عَقَلُوْ أنْفُسَهُمْ يوم عكاظ ، وقاتلوا قتالًا شديدًا فَشُبِّهُوْا بِالأسْدِ ، والأَسَدَ يقال له الْعَنْبَس . قال : وحدثنا الزبير بن أبي بكر قال : حدثني مصعب بن عثمان ومحمد بن الضحاك الحُزامي : أن خويلد بن أسد كان يوم عكاظ على بني[٨٢] أسد بن عبد العزى .

ذكر يوم الْحُرَيْرَة : حدثني الازدي حسن بن حسين قال حدثني محمد بن حبيب الهاشمي عن أبي عُبيدة قال : كانت فيه الدائرة لهوازن على كنانة وهو آخر أيامهم وهي بحزَّة(٨٣) الى جنب عكاظ مما يلي مَهَب جَنُوْبها لمن يُقْبل يريد مكة من مهبِّ صباها(٨٤) حتى يَنْقطع(٨٥) دوين قرن ، فكان رؤساؤهم الذين كانوا [١٠ - ب] إلاّ بلعاء(٨٦) فإنه مات ، وكان بعده الرئيس عليهم جثامة(٨٧) ابن قيس ، وقيل يومئذ أبو سفيان بن أمية ومن كنانة ثلاثة رهط قتلهم عثمان بن أسيد بن مالك بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وقتل ورقاء بن الحارث ابن مالك بن ربيعة بن عمرو بن عامر أباكتف(٨٨) [وابني اياس](٨٩) وعمرو وابن أيوب ، وقد ذكرهم خداش بن زهير في شعره .

فهذه أيام الفجار الخمسة التي تزاحفوا فيها في اربع سنين أولهن : يوم نخلة حين تبعتهم هوازن فكان كفافا(٩٠) لا على هؤلاء ولا على هؤلائك . ثم يوم شيطمة(٩١) فكان لهوازن على كنانة ، ثم يوم عكاظ الأول وهو يوم العَبَلاء وكان لهوازن على كنانة ، ويوم عكاظ الثاني وهو يوم شرب ، كان لبني كنانة على هوازن ولم يكن بينهم يوم أعظم منه . ثم يوم الحُرَيْرة وهو آخر أيام [مزاحفاتهم](٩٢) .

قال الفاكهي(٩٣) رحمه الله . ثم كان الرجل يلقي الرّجل أو الرجلين أو اكثر من ذالك أو أقل فيقتتلون فَربّما قتل بعضهم بعضا فلقى ابن محَمّيه أخو بني الديل ابن بكر أباخداش(٩٤) بن زهير بالصفاح(٩٥) ، فقال(٩٦) ابن زهير : اني حرام جئتُ مُعْتَمِرًا [١١ - أ] فقال : لا تلقى الدهر(٩٧) إلاّ قلت معتمرا فقتله ثم ندم فقال :

اللهم إنَّ العامريَّ الْمُعْتَمِرْ   لَم آتِ فيه عُذُرًا لِمُعْتَذِرْ

ثم ان الناس تَدَاعو الى السلم على أن يُدىَ(٩٨) الفضْل من القَتْلَى التي فيهم أي الفريقين أفضل على الآخر ، فتواعَدُوا عكاظًا ليتعَادَّوْا القتلى ، وتعاقدوا وتواثقوا ان يتموا على ذلك ، وجعلوا بينهم أمدا يلتقون فيه لذَلك ، فأبَى ذالك وهب بن معتب(٩٩) وخالف على قومه وجعل لا يْرضَى بذالك حتى يدركوا آثارهم فقال في ذالك أمية بن جدعان بن الأشكر :

المرء وهب وهب آل معتب[١٠٠] مَلَّ الْغُوَاة وأَنْتَ[١٠١] لَمَّا تَمْلَلِ
تَسْعَى تقوِّدَها بحول[١٠٢] وقودها وإذا بقايَا صُلْح قَوْمِكَ تأتلِ[١٠٣]

وهي في شعره واندس وهب حتى مكرت هوازن بكنانة وهم على رأس الصّلح ، فبعثت خيلاً عليها سلمة بن شعل البكّائي وخالد بن هوذة ، فيهم ناس من بني هلال ، وجعل مالك يقاتل ويرتجز وهو أمرد يومئذ يقول : أَمْرَدُ يَهْدي حِلْمَهُ مشيب اللحا[١٠٤]

وهو أول يوم ذكر فيه مالك بن عوف ، فقتلت بنو مذحج[١٠٥] يومئذ عبيد بن عوف البكائي وسبيع بن المومل[١٠٦] من حصن[١٠٧] (؟) محارب ثم انهزمت بنو ليث ، فاستحر القتل ببني الملوح بن يعمر ، فقتلوا منهم ثلاثين رجلاً [سوى نساء][١٠٨] وساقوا نعما ثم أقبلوا فعرضت لهم خزاعة وطمعوا فيهم فقاتلوهم فلما رأوا أنهم لا يَدَ لهم بهم قالوا : عرضونا [١١ ـ ب] من غَنيمتكم عراضة ، فأبوا فخَلُّوا سربهم[١٠٩] [فقال مالك بن عوف[١١٠] .

نحن جلبنا الخيل مِنْ بَطْن لِيَّة وجَلْدَان قُبًّا حَافِيَاتٍ وَوُقَّفَا
تواعد ضيطارو خزاعة حربنا وما وجدت ضيطار تقلب مصحفا[١١١]

ثم ان الناس تداعوا إلى الصّلح ورهَنُوا رَهْنا بالوفاء بديات من كان له الفضل في القَتْلى ، وتم الصُّلْح ، ووضعت الحربُ أوزارها انتهى كلام الفاكهي في حروبها .

واقتصرت هنا على الوارد من أخبارها ، في سوق عكاظ وأيامها ، وإن حصل فيه التطويل استفدنا منه الغرض الجزيل ، ونحمد الله تعالى اذ هدانا للاسلام ، وجَنّبنا طريق أهل الشرك الجهلة الطغام ، ومَنَّ علينا بشريعة نبيّنا محمد عليه افضل الصّلاة والسلام ، فنسأله استمرار ذلك إلى يوم القيام ، وأن يهدينا إلى سواء السبيل إنه بالآمال كفيل وهو حَسْبنا ونعم الوكيل نعم[١١٢] المولى ونعم النَّصير ، انتهت كتابة هذا التّأليف اللّطيف ، المسمى « بالاتعاظ[١١٣] بما ورد في يوم عكاظ » في يومين متواليين أحدهما يوم الجمعة ثاني ربيع الثاني عام ستّ وأربعين وتسع مئة بمكة المشرفة ثم كتبت هذه النسخة الثانية في مجلسين آخرين

آخرهما في يوم الأحد تاسع شهر تاريخه وعامه بالمسجد الحرام ، تجاه ميزاب سُحَب الانعام ، على يد مؤلفه وراقم حروفه الفقير الحقير ، الراجي عفو ربه (القدير) محمد المدعو جار الله بن عبد العزيز بن عمر بن فهد الهاشمي المكي الشافعي لطف الله به والمسلمين اجمعين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا .

تحقيق : عبد الله بن محمد الحبشي

الهـــوامش :

(١) علق المؤلف بهامش المخطوطة أنه الشجاع الماهر أبو محمد عامر بن القائد الكبير زين الدين مفتاح البقيري الحبشي عتيق امير مكة سيدي بن بركات الحسني ومقدمه على امواله ومن بعده على اولاده .

(٢) حياته من سنة ٨٥٠ الى سنة ٩٢٠ . الضوء اللامع ٤ : ٢٢٤ والكواكب السائرة ١ : ٢٣٨و شذرات الذهب ١٠٤٨ والاعلام ٤ : ٢٤ .

(٣) حياته من سنة ٨١٢ الى سنة ٨٨٥ . الضوء اللامع ٦ : ١٢٦ والبدر الطالع ١ : ٥١٢و الاعلام ٥ : ٦٣

(٤) اشارة الى تحويل السّند

(٥) كذا تقرأ في الاصل وربما قرأت هكذا (بعلوم مه)

(٦) ترجمته في الضوء اللامع ٩ : ١٩ وفيه مولده سنة ٨٠٧ ووفاته سنة ٨٩٤

(٧) هو مؤرخ مكة عاش بين سنتى ٧٧٥ ـ ٨٣٢ . الضوء اللامع ٧ : ١٨ والاعلام ٥ : ٢٣١

(٨) « شفاء الغرام » ٢ : ٢٨٢ ط العلمية المصورة .

(٩) في الأصل العنساري

(١٠) سقط من الأصل وأضفناه من « شفاء الغرام »

(١١) أنظر هذا السند في أول كتاب « شفاء الغرام » ١ : ٩ ط العلمية المصورة .

(١٢) تاريخ مكة للازرقي ١ : ١٧٩ .

(١٣) تاريخ مكة (عثمان) وهو الصواب .

(١٤) تاريخ مكة ١ : ١٨٧ وشفاء الغرام ٢ : ٢٨٢ .

(١٥) تاريخ مكة (مداعيهم) والشفاء : (مراعيهم) كما هو هنا.

(١٦) المجنة سوق بأسفل مكة بمر الظهران المعروف اليوم بوادي فاطمة قرب جبل يقال له الأسفل اهـ من هامش الأزرقي وانظر المناسك المنسوب للحربي ٦٥٣ .

(١٧) ذو المجاز سوق بعرفة على ناحية كبكب . من هامش الأزرقي ١ : ١٨٨ وانظر المناسك ٥٠٩ .

(١٨) ساقط من مطبوعة « شفاء الغرام » .

(١٩) « شفاء الغرام » : ثم يخرجون لذي المجاز فيقيمون بها الى يوم التروية ويخرجون يوم التروية من ذي المجاز الى عرفة فيتروون .... الخ .. وما جاء عند المؤلف في الأزرقي .

(٢٠) كذا في الاصل والازرقي والشفاء : ترووا .

(٢١) الحُمْسُ : قريش ومن ولدت قريش وكنانة وجديلة قيس وهم فهم وعدوان ابناء عمرو بن قيس عيلان وبنوعامر بن صعصعة هولاء الخمس سموا حُمْسًا لأنهم تحمسوا في دينهم أي تَشَدَّدُوا قال : وكانت الحمس =

= سكان الحرم وكانوا لا يخرجون ايام المواسم الى عرفات انما يقفون بالمزدلفة ويقولون : نحن أهل الله ولا نخرج من الحرم وصارت بنو عامر من الحمس وليسوا من ساكني الحرم لأن امهم قرشية . انظر اللسان ٦ : ٥٨ وشفاء الغرام ٢ : ٤١ .

(٢٢) زيادة من عند المؤلف .

(٢٣) في الشفاء « غرة » وما جاء في تاريخ مكة للازرقي .

(٢٤) زيادة عند المؤلف .

(٢٥) تاريخ مكة ١ : ١٨٨ وشفاء الغرام ٢ : ٢٨٢

(٢٦) الآية : ١٩٨ سورة البقرة .

(٢٧) « الكامل » لابن الاثير ٥ : ٢٥ ط العلمية (وهوشبيان الحروري) .

(٢٨) الأزرقي ١ : ١٨٨ - ١٩٠ و « شفاء الغرام » ٢ : ٢٨٢ - ٢٨٣ .

(٢٩) الأزرقي ١ : ١٩ وشفاء الغرام ٢ : ٢٨٣

(٣٠) أنظر « نهاية الأرب » للقلقشندي : ٤٠٣ - ٤٠٤ ط دار الكتب الاسلامية سنة ١٤٠٠ .

(٣١) مابين المعقوفتين الحاق بخط المؤلف من هامش النسخة .

(٣٢) البيتان في الأزرقي ١ : ١٩١ و « شفاء الغليل » ٢ : ٢٨٣ .

(٣٣) كذا في الاصل وفي الأزرقي و « شفاء الغليل » : (بفخ) .

(٣٤) حباشة : اكتفى ياقوت والزبيدي بقولهما : إنه سوق تهامة القديمة وهي سوق لقنيقاع (من هامش الازرقي ١ : ١٩١)

(٣٥) ذكرها الزبيدي في التاج باسم (الوصم) وقال إنها قرية باليمن (من هامش الازرقي) .

(٣٦) بارق : واد عظيم من أعظم الاودية اتساعًا بين محايل والقنفذة في تهامة عسير انظر (الازرقي هامش) .

(٣٧) القلقشَنْدي « نهاية الأرب » ، ٣٩ .

(٣٨) زيادة ملحقة بخط المؤلف . (٣٩) زيادة عند المؤلف .

(٤٠) الازرقي ١ : ١٩١ - ١٩٢ و « شفاء الغرام » ٢ : ٢٨٣ .

(٤١) « شفاء الغرام » ١ : ٢٨٣ .

(٤٢) كذا في الاصل بخط المصنف وهو سبق قلم . صوابه « القاضي عياض » كما في « شفاء الغرام » (المطبوعة) . والله اعلم إلا أن يكون الخطأ وقع في المطبوعة فتصحح وهذا ما أميل إليه لقرب الرواية الآتية بين الفاكهي وابن اسحق .

(٤٣) مطبوعة الشفاء بمر .

(٤٤) زيادة من « شفاء الغرام » لعله سقط على المؤلف سهواً .

(٤٥) النقل هنا عن « شفاء الغرام » .

(٤٦) ساقط من الاصل . (٤٧) ساقط من الشفاء . (٤٨) « الشفاء » يسترجح .

(٤٩) زيادة بهامش النسخة للمؤلف .

(٥٠) ابن الاثير : « النهاية في غريب الحديث » ٢ : ٥٢١ .

(٥١) كذا في الأصل و « الشفاء » : الوجه .

(٥٢) « الشفاء » الجبالى .

(٥٣) الكلام هنا للفاسي في « شفاء الغرام » ٢ : ٢٨٤ .

(٥٤) « الشفاء » يخيل .

(٥٥) انظر « شفاء الغرام » ٢ : ٢٨٢ - ٢٨٥ .

(٥٦) ترجمته في « الضوء اللامع » ٥ : ٢٠٣ .

(٥٧) كذا في الأصل صوابه أربع وعشرين .
(٥٨) طبع اخيرا ضمن منشورات جامعة ام القرى . ولم نقف عليه .
(٥٩) الآية ٢٩ سورة الاحقاف .
(٦٠) كذا عند المؤلف رحمه الله وقد تبادر إلى ذهنه العلامة النحوي عبد الله بن يوسف بن هشام المتوفى سنة ٧٦١ صوابه عبد الملك بن هشام المؤرخ المتوفى سنة ٢١٣ وكلاهما مشهور معروف .
ولكن قول ابن فهد : وقال الامام أبو بكر بن محمد بن اسحاق المطلبي يظهران فيه نقصا فليس صاحب السيرة ابابكر .
(٦١) سورة الجن الآية : ١ .
(٦٢) انظر « سيرة ابن هشام » ١ :٢٦٦ ط دار التراث .
(٦٣) « بهجة المحافل » ١ :١٢٣ .
(٦٤) في الأصل : ليتئذ وأصلحناه من « بهجة المحافل » .
(٦٥) في « البهجة » استماع . (٦٦) زيادة في « المحافل » .
(٦٧) انظر « بهجة المحافل » ١ :١٢٣ ـ ١٢٤ .
(٦٨) هنا سقطت ورقة من الأصل فيها الكلام على وادي نخلة .
(٦٩) أنظر ياقوت الحموي : « معجم البلدان » ٥ :٢٧٧ ويقارن هذا النّص بكتاب المشترك وَضْعًا والمختلف صقعًا لياقوت وهو لا يحضرني الان .
(٧٠) ـ (٧٣) « المناسك » : ٣٥٤ ـ ٣٥٥ .
(٧٤) هو أبو عبد الله محمد بن محمد البكري العطار الشافعي المتوفى سنة ٨٤٠ انظر ترجمته في « الضوء اللامع » ٩ :٣ و « هدية العارفين » ٢ :١٩١ و «معجم المؤلفين » ١١ :٢٧٣ وفي نسبته إلى اشبيلية نظر .
(٧٥) هو والي اليمن و « تاريخ اليعقوبي » ٢ :٤١٢ .
(٧٦) نشر ضمن اعداد مجلة العرب س١٣ ص٤٦٤ وس١٨ ص١٨٧ فينظر هنالك .
(٧٧) هنا سقطت ورقة من الأصل فيها الكلام على حرب الفجار وأغلبه منقول عن « شفاء الغرام » ٢ :٩٢ ـ ٩٥ .
(٧٨) هنا بقية الكلام عن يوم شرب من أيام الفجار انظره بنصه في « شفاء الغرام » ٢ :٩٤ .
(٧٩) « شفاء الغرام » (شطيمة) وفي أيام العرب لجاد المولى : ٣٣١ « شمطة » .
(٨٠) « شفاء الغرام » (نصر) .
(٨١) ساقط من « شفاء الغرام » .
(٨٢) « شفاء الغرام » : ابن أسد .
(٨٣) كذا في الأصل وفي « شفاء الغرام » (وجزيرة الى جنب عكاظ) والصواب وهي حرة الى جنب عكاظ .
(٨٤) « شفاء الغرام » (شمالها) قال وفي نسخة (صبابها) كذا .
(٨٥) شفاء الغرام « يقطع » .
(٨٦) كذا في الأصل ولعله سقم في نسخه ابن فهد (مؤلف الكتاب) من شفاء الغرام وفي المطبوعة ـ أي من شفاء الغرام ـ هكذا (فكان رؤساؤهم الذين كانو قبلا الا قيسا فإنه مات وكان بعده) الخ . . .
(٨٧) « شفاء الغرام » (ختار) .
(٨٨) « شفاء الغرام » : أبا مكنف .
(٨٩) ساقط من « شفاء الغرام » .
(٩٠) « شفاء الغرام » : كفاءا .
(٩١) « شفاء الغرام » شطيمة بتقديم الطاء على الياء والصواب (شمطة) .

←